بنية الحدث في السرد المذكراتي:
"عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسية" و "أيام زمان" - دراسة مقارنة

Event Structure in Memoir Narrative: Abdelkrim Ghallab's Political Memoirs and Days Gone By: A Comparative Study

د. إدريس الزهري: أستاذ التعليم العالي للغة والتواصل بالمعهد العالي للمهن التمريضية وتقنيات الصحة الرباط، المغرب.

Dr. Ezzahri Driss: Teacher of Higher Education in Language and Communication at the Higher Institute of Nursing Professions and Health Techniques, Rabat, Morocco.

Email: ezzahridriss2025@gmail.com

DOI https://doi.org/10.56989/benkj.v6i9.2098

تاريخ الاستلام: 2026-07-01 تاريخ القبول: 2026-08-15 تاريخ النشر 2026-09-01

الملخص:

يبرز الحدث في المذكرات مصدرًا موازيًا للتاريخ الرسمي، حيث تقف الدراسة عند محطات مفصلية في تاريخ المغرب، مثل وفاة الملك محمد الخامس، والمحاولتين الانقلابيتين في سبعينيات القرن الماضي، بجرأة تتجاوز أحيانًا التحفظ الأكاديمي، عبر نقل المشاهدات والمرويات التي واكبت تلك الأحداث. وتحلل الدراسة الحدث في شقيه الشخصي والتاريخي من خلال نموذجين مختلفين؛ أولهما يميل فيه الكاتب والروائي والوزير السابق عبد الكريم غلاب إلى استبعاد تفاصيل حياته الخاصة، مركزًا على مساره النضالي والسياسي مديرًا لأعرق صحيفة مغربية، «العلم». وفي المقابل، يقدم الكاتب العام الأسبق لوزارة الإعلام محمد الصديق معنينو ما يشبه تلفزيون الواقع، عبر سرد تفصيلي وشامل لمساره المهني والشخصي منذ صرخته الأولى، محولًا الذاكرة الفردية إلى محكي حياة يشارك القارئ أحداثها في أدق التفاصيل التاريخية والشخصية، بأسلوب تلقائي ممهور بالبوح والاعتراف والشهادة. واعتمدت الدراسة، لرصد بنية الحدث في النموذجين، المنهج البنيوي السردي للتمييز بين الوقائع كما حدثت (القصة) وطريقة حكيها (الخطاب). وخلصت إلى أن الحدث هو العمود الفقري الذي يربط بين مختلف عناصر المتن الحكائي، في نسق يراهن على نقل الحقيقة من خلال الوقائع كما عاشها الكاتب، واستثمار الأحداث لصياغة متن يجمع بين التوثيق والإمتاع الأدبي الذي يشد المتلقي من بداية السرد إلى نهايته. كما دعت إلى تأكيد الالتزام بقيم الصدق والموضوعية وتجنب تضخيم الأنا؛ لذلك أوصت الدراسة الكتاب والسياسيين الذين يخوضون تجربة المذكرات بتجنب جعلها مجرد فضاء لإعلاء «الأنا» غير المؤسسة على حقائق ثابتة وموضوعية، والالتزام بقيم الصدق التاريخي والفني بوصفها أرضية تعاقدية مع القارئ.

الكلمات المفتاحية: الأدب المغربي، المذكرات السياسية، السرد العربي، الشهادة التاريخية، بنية الأحداث.

Abstract:

The event in memoirs emerges as a parallel source to official history, as the study examines pivotal moments in Moroccan history, such as the death of King Mohammed V and the two attempted coups of the 1970s, with a boldness that sometimes goes beyond academic restraint by conveying the observations and accounts surrounding those events. The study analyzes the event in both its personal and historical dimensions through two different models. In the first, the writer, novelist, and former minister Abdelkrim Ghallab tends to exclude details of his private life, focusing instead on the struggle and political career of the editor of Morocco's oldest newspaper, Al-Alam. In contrast, Mohamed Essadek Maâneninou, the former Secretary-General of the Ministry of Information, presents something resembling reality television through a detailed and comprehensive account of his professional and personal journey from his earliest moments, transforming individual memory into a life narrative in which the reader shares the events in their finest historical and personal details, through a spontaneous style characterized by confession, disclosure, and testimony. To examine the structure of the event in the two models, the study adopted the structural-narrative approach, distinguishing between events as they actually occurred (the story) and the manner in which they are narrated (the discourse). The study concludes that the event constitutes the backbone connecting the various elements of the narrative text, within a framework that seeks to convey truth through events as experienced by the writer and to employ those events in constructing a text that combines documentation with literary appeal, engaging the reader from the beginning to the end of the narrative. It also calls for commitment to the values of honesty and objectivity and avoidance of an inflated sense of self. Accordingly, the study recommends that writers and politicians who undertake the memoir genre avoid turning their memoirs into mere spaces for glorifying the "self" without grounding it in established and objective facts, and instead adhere to the values of historical and artistic truthfulness as a foundation for their implicit contract with the reader.

Keywords : Moroccan Literature, Political Memoirs, Arabic Narrative, Historical Testimony, Plot Structure.

المقدمة:

يمثل السرد المذكراتي جنساً أدبياً متميزاً وملتبساً في الآن ذاته، إذ يقع أحيانا في منطقة التماس بين الكتابة التاريخية والإبداع الأدبي. فهو لا يكتفي بنقل الوقائع كما حدثت في الماضي بشكل تسجيلي، بل يعيد بناءها وإنتاجها عبر وسائط لغوية وآليات سردية واعية، تتداخل فيها الذات الكاتبة مع موضوعها. ومن خلال هذه العملية، يتحول الحدث التاريخي الواقعي إلى مكون من مكونات النص الأدبي، يخضع لجماليات الترتيب، والانتقاء، والحذف، والتبئير، مما يمنحه بعداً فنياً يتجاوز الوظيفة التوثيقية المحضة.

يكتسي هذا الجنس الأدبي أهمية استثنائية في الأدب المغربي المعاصر، حيث ارتبط تطوره بنهضة الكتابة عن الذات في علاقتها بالأحداث السياسية والاجتماعية، بأقلام معتقلين سياسيين، وشخصيات ذات الصلة بمراكز القرار والحكم والسلطة: وزراء وعسكر وزعماء أحزاب من تيارات فكرية ومذاهب وإيديولوجيات مختلفة؛ وكذا معارضون وموالون، قاسمهم المشترك حكي لتاريخهم الشخصي الممهور بالسياسة وجاراتها. هكذا غدت المذكرات المغربية بمثابة فضاء نصي لتدوين الشهادة التاريخية والرواية الشعبية حيث يلتقي التاريخ الجماعي المشترك مع المسار الفردي للذات الساردة.

الإشكالية وأسئلة الدراسة:

تتمحور إشكالية الدراسة حول البحث في مظاهر السرد الأدبي داخل جنس المذكرات، وكيفية اشتغال بنية الحدث كآلية محورية تساعد في نقل هذا النوع من الكتابة من هامش الأجناس الأدبية إلى وضعية الجنس المركزي.

تكمن الإشكالية إذن، في كشف الصراع الفني والمنهجي بين تاريخية الواقعة وأدبية السرد، وكيف يتحكم الحدث في معالم الفضاء المذكراتي ليجعل منه شهادة حية وتاريخية بأسلوب إبداعي.

وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات بحثية يسعى النص للإجابة عنها، وهي:

- كيف يسهم تشكيل الحدث باعتباره العمود الفقري للمذكرات، في صياغة التلاحم بين التوثيق التاريخي الصادق والإمتاع الأدبي الذي يشد المتلقي؟
- ما هي طبيعة التمايز بين القصة /الوقائع التاريخية كما حدثت؛ والخطاب أو طريقة بنائها سردياً في نماذج المذكرات السياسية المغربية؟
- إلى أي حد استطاع غلاب ومعنينو استثمار الذاكرة الفردية لإعادة بناء الهوية الشخصية وتوثيق الحدث التاريخي مع الحفاظ على المقومات الفنية للعمل الأدبي؟

أهداف الدراسة:

في مقدمة أهدافِ الدراسة الانفتاح على جنس أدبي جديد في الأدب المغربي المعاصر، المتمثل في المذكرات السياسية، إذ أسهم مناخ الانفراج السياسي في ازدهار الإصدارات ذات الصلة بالأحداث السياسية الكبرى التي طبعت تاريخ المغرب منذ فجر الاستقلال؛ والدراسة مناسبة للتأكيد على أن الأدب كان ولا يزال المجال الأرحب لمختلف أنماط الكتابة والتعبير عن الذات في علاقتها مع الجماعة، وفي فنونه تنمو وتنضج أشكال متجددة للإبداع والفكر والنقد، واعتبارها مصدرا ذا قيمة علمية بين المصادر التاريخية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة بشكل أساس على المنهج البنيوي السردي كأداة إجرائية لتحليل العينة: "عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسية" و"أيام زمان". يقوم هذا المنهج على التمييز الجوهري بين مستويين حاسمين في تحليل النص الأدبي: مستوى القصة (Histoire/Fable)، وهي المادة الحكائية الأولى والأحداث في تسلسلها المنطقي والزمني الواقعي المفترض التي تجيب عن سؤال (ماذا حدث؟)، ومستوى الخطاب (Discours/Sujet)، وهو الطريقة الفنية، والأسلوبية، والجمالية التي تحكى بها تلك الأحداث وتنظم بنيوياً داخل النص عبر تنويع الرؤى والمفارقات الزمنية.

فرضية الدراسة:

لتوجيه مسار التحليل، تنطلق الدراسة من فرضيتين أساسيتين:

- الفرضية الأولى: تساعد بنية الحدث في تحويل المذكرات من مجرد توثيق تاريخي هامشي إلى جنس أدبي مركزي، وذلك عبر الموازنة الفنية بين القصة /الوقائع التاريخية، والخطاب /الأسلوب السردي، مما يمنح النص قدرة على شد المتلقي وإمتاعه.
- الفرضية الثانية: يمنح تنوع الأحداث كاتب المذكرات حرية كبرى في ترتيب الوقائع بين الرئيسي منها والثانوي، وفق تقديره الذاتي وما تختزنه ذاكرته، بعيداً عن التراتبية الصارمة للتاريخ الرسمي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الموضوع في رصد آليات تشكيل بنية الحدث داخل المتن المذكراتي المغربي، وتفكيك الكيفية التي يتشكل بها الخطاب السردي حين يمتح من محبرة الذاكرة. وتكتسي قيمتها الأكاديمية من خلال اشتغالها على نموذجين/ مسارين مختلفين ومتكاملين في آن واحد؛ الأول عبد الكريم غلاب بما يمثله من ثقل سياسي وحزبي نضالي، بخلفيته الروائية والأدبية التي تمنح كتابته

المذكراتية بعدا أدبيا خاصاً. والثاني يمثله محمد الصديق معنيو في سداسيته "أيام زمان" الكاتب العام الأسبق لوزارة الاتصال المغربية، والعين الشاهدة على أحداث سياسية طبعت تاريخ المغرب؛ كان قريبا من وزير الداخلية والاتصال الأسبق إدريس البصري الذي أسال مداد كتاب المذكرات.

ويأتي سياق هذه الدراسة ليميط اللثام عن الخصائص الأدبية التي تميز المذكرات بوصفها بنية فنية قائمة بذاتها، ومستقلة عن الكتابة التقريرية التاريخية؛ فالهدف ليس التعامل مع هذه المتون كوثائق تاريخية محضة، بل كبنى نصية تخضع لمنطق السرد وآلياته. تحاول الدراسة الإسهام في إبراز قدرة المذكرات في صهر الواقعي بالإبداعي، وتقديم مادة حكائية يتشكل فيها الحدث السردي ويتطور انطلاقاً من المرجعية التاريخية وصولاً إلى الصياغة النصية المكتملة.

أولا: الإطار المفاهيمي للدراسة

1.1. البنية

ارتبط مفهوم البنية بالتشييد والبناء والشكل والمعمار، كما يتم توظيفها تبعا للسياق والمجال والموضوع. ويقصد بالبنية (structura) في اللغات الأوروبية من الأصل اللاتيني الطريقة التي يقام عليها مبنى ما، وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي"[1].

البنية، إذن، أنساق مترابطة داخلياً بمجموعة روابط، يهدف التحليل إلى تفكيك هذه الأجزاء وإعادة بنائها على نحو يفسر وحداتها، وكيفية ارتباطها ومستوياتها السطحية والعميقة، ودرجة صلتها بالمضامين والدلالات التي تنبثق عنها، والقيم والرؤى التي يطرحها الشكل والوظائف التي تنهض بها.

ويأتي السرد بنية كبرى، تتأسس عليها بنى فرعية، فهو الكيفية التي تروى بها القصة، وهو الطريقة التي يمثل بها مضمون القصة، وهو يماثل الخطاب، ويتضمن مرسلا ومرسلا إليه"[2].

1.2. الحدث

يتخذ الحدث معان متعددة؛ منها ما يدل على الحركة والفعل. ويقترن في اللغة بالمصدر، باعتباره أصل المشتقات اللغوية كاسم الفاعل واسم المفعول واسمي الزمان والمكان واسم الآلة...

إن الحدث "جزء متميز من الفعل، وهو سرد قصصي موجز أو قصير يتناول موقفاً واحداً، وحينما تنتظم الأحداث معاً ويجمعها خيط واحد بطريقة مترابطة تصبح سلسلة أحداث في

[1]– فضل، صلاح (1998): نظرية البنائية في النقد الأدبي، (ط1)، القاهرة، دار الشروق، ص 120.

[2]– لحمداني، حميد (1998): بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، (ط2)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص45– 46.

الحبكة"[1]. والحبكة أو النسق، هي "سياق الأحداث والأعمال وترابطها لتؤدي إلى خاتمة، وقد ترتكز الحبكة على تصادم الأهواء والمشاعر، أو على أحداث خارجية، وهي في رأي نقاد الفن عنصرا أساسيا لإثارة المشاهد أو السامع واندماجه مع الشخصيات الواقعية أو الرّمزية المتحركة والمفكرة"[2]، لربط المواقف والأحداث في نسق متتابع.

1.3. 3.1 أدب المذكرات:

قد نتساءل مثلما تساءل جون بول سارتر (Jean-Paul Sartre)[3] ما الأدب؟ بالقول ما المذكرات؟ ومرد هذا السؤال إلى الالتباس الذي يحيط هذا اللفظ الوارد في صيغة الجمع.

ظهرت المذكرات منذ القدم، وذاعت في الآداب العالمية، خاصة في أوربا خلال القرون الوسطى والحديثة، وعرفت انتشارا كبيرا في الفترة المعاصرة، ولم يكن هذا الجنس من الكتابة منتشرا بكثرة في الأدب العربي، فالذي اشتهر بين العرب هو فن السيرة. ورغم ذلك فبعض الكتابات السير – ذاتية العربية يمكن أن تصنف في خانة المذكرات، مثل كتاب "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا" فقد تضمّن كل مقوماتها[4].

يرى بول فيرلان (Paul Verlain) [5] المذكرات "كلمة مرنة، فضفاضة، طيّعة تستعمل عادة للدلالة على مجموعة من الانطباعات والأفكار وغيرها"[6]. ومرد هذا الحكم أن المذكرات تتقاطع مع أجناس أدبية متعددة لعل أبرزها السيرة الذاتية والتاريخ، واليوميات والاعترافات وأدب الرسائل؛ كما تتضمن أحداثا وأخبارا مسجلة عن الحياة، وحكايات بطلها الكاتب ومحيطه الاجتماعي والسياسي والحيوي، يراهن من خلالها استخلاص الحقيقة من الأحداث، وكذا استثمار وثائق تاريخية (قصاصات جرائد – شهادات– مراسلات – صور شخصية– بطاقات بريدية– مخطوطات...) في التأليف والكتابة.

1– فتحي، إبراهيم (1999)، معجم المصطلحات الأدبي، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ص127.

2 – جبور، عبد النور (1979): المعجم الأدبي، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، ص91.

3– جان بول سارتر (Jean-Paul Sartre) (1905–1980): فيلسوف، وناقد أدبي، وروائي فرنسي.

4– الطاهري، عبد العزيز (2016)، الذاكرة والتاريخ: المغرب خلال الفترة الاستعمارية (1912–1956)، ط1، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ص32–33.

5– بول فرلان (Paul Verlaine) (1844–1896): شاعر فرنسي، يعد من أبرز رواد المدرسة الرمزية.

6– ماي، جورج (2017)، السيرة الذاتية، ترجمة: محمد القاضي وعبد الله صولة، ط1، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ص177.

يرى الناقد المغربي "عبد المالك أشهبون" أن "فن المذكرات ليس فعلا متاحا لكل من هب ودب، ولا أرضا مشاعا أمام كل من ساورته الفكرة " [1]، وكأنه يرد على بول فيرلان (Paul Verlain)، مضيفا أن "الكثير من الذين امتنعوا عن كتابة مذكراتهم، والتزموا الصمت النبيل، كانوا أفضل بكثير من بعض الذين غامروا وخاضوا التجربة، واعتبروها محطة لإبراز الذات، ولإعلاء الأنا غير المؤسس على حقائق ثابتة وموضوعية"[2].

في هذا السياق انتقى الناقد الفرنسي جورج ماي (Georges May) بعناية تعريف المذكرات بقوله إنها "سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف وكان له فيها دور، تختلف – المذكرات– عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية كبرى، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك فيها المؤلف، أو شاهدها أو سمع عنها من معاصريه، وأثرت في مجرى حياته"[3].

1.4. المذكرات السياسية المغربية:

قبل الخوض في تحليل محور "المذكرات السياسية المغربية"، لا بأس من إلقاء إطلالة بحثية حول مفهوم السياسة، خاصة أن كلمة "**سياسة**" لم تعد ترعب آذان المغاربة كما كان في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، وأضحى الحديث عنها من قبيل المألوف الذي يعرفه الجميع.

وتلوك الألسن "السياسة" في مغرب ما بعد سنة 2000، بكل حرية، فهي "لم تترك مجالا في الحياة، إلا واخترقته، كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، صريح أو مضمر، ولا توجد قيمة شكلت مطلبا وهدفا للناس سواء أكانت هذه القيمة مادية أم رمزية إلا وحضرت فيها، لذلك تكاد تكون عصية على التحديد"[4].

وأكثر من ذلك فالسياسة "ليست موضوعا أو شيئا واضحا يمكن وصفه، فهي من جهة سلوك، ومن جهة أخرى صفة يمكن أن تطلق على بعض التصورات ... بل قد يبدو تعريف السياسة عند العديد من السياسيين والمثقفين مجرد موقف من السياسة، لا سمات تعريفية لها.

---

[1]– أشهبون عبد المالك (2007)، من خطاب السيرة المحدد إلى عوالم التخييل الذاتي الرحبة، ط1، فاس، مطبعة أنفو–برانت، ص 121.

[2]– المرجع نفسه، ص 121.

[3]– انظر قول جورج ماي، نقلاً عن جبورعبد النور (1979)، المعجم الأدبي، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، ص 246.

[4]– مسكين، حسن (2016)، الحياة السياسية في المغرب المعاصر، الحكومة والمعارضة نموذجاً، دراسة في الخطاب والممارسة، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ص ص 25–26.

فالسياسة خداع، والسياسة فن الممكن، والسياسة إرادة وقوة وغيرها من المواقف التي تعلمنا أن السياسة خير أو شر، ولكنها لا تخبرنا أي شيء عن ماهيتها»[1].

ويذهب المفكر المغربي "محمد سبيلا" إلى اعتبار السياسة "أكثر الممارسات الإنسانية تعقيدا وتشابكا، إذ تلتحم وتتناغم في الفعل السياسي كل مكونات وأبعاد الواقع الإنساني، ففيها يندغم الواقع بالوهم، والوعي باللاوعي، والمعطى العيني بالمتخيل، مثلما تتضافر كل أبعاد وعناصر الواقع الإنساني، النفسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية في وجهها الواقعي واليوتوبي" [2].

وبعيدا عن أي فهم يدخلنا في متاهات البحث عمّا هو سياسي وغير سياسي، نقر بأن السياسة ترتبط ببناء المجتمع على قواعد لضمان استمرار الاستقرار، وتطور العلاقات والمجتمع من خلال تنظيم متعاقد حوله يحقق مصالح مشتركة. وهي بذلك فن تدبير الشأن العام وأسلوب في التعايش بين الأفراد والجماعات والدول، وكلما اختل هذا التوافق تتحول السياسة إلى محور الصراع حيث تجاذب المصالح، وتهديد الجماعة بالانشطار والتشطي، أو إخضاعها بناء على منطق القوة التعسفية الذي يحقق استمرار مصالح فئة على حساب فئات أخرى.

ومن هنا نشير إلى أن للسياسة وجهين؛ سياسة تنبني على التوافق وتحقق الاستقرار، وأخرى تنبني على الصراع واختلاف المصالح والرؤى وتقود إلى الصراع الذي يفضي إما إلى هشاشة استقرار المجتمع وتهديد وحدته أو إلى تطوره الكيفي[3].

ولن نختلف في الرأي مع الناقد المغربي "محمد أفاية" قوله إن السياسة تحتمل "أكثر من معنى، وتوظف ضمن أكثر من تصور. فهي فن تدبير شؤون الناس وهي الكيفية التي بها يتم ترويضهم لإدماجهم في النظام. والسياسة- في ذلك- سياسات تعبر عن الطرق المختلفة لضمان المصالح الفردية أو الجماعية في تمفصلها مع مقتضيات توازن النظام. ومن أجل ذلك ترفع الشعارات وكلمات الأمر، وتجتهد العقول في التأويل والدعاية والتبرير أو في الاحتجاج، والإصلاح والتغيير" [4].

---

[1]- البوعمراني محمد والصالح محمد (2015)، الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، ط1، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص 42.

[2]- سبيلا محمد (2010)، للسياسة.. بالسياسة، ط2، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ص 5.

[3]- الصديقي محمد (2021)، بلاغة الخطاب السياسي، الاستعارة وبناء المعنى، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ص59.

[4]- أفاية نور الدين (1999): البقاء للإصلاح: عن العمل السياسي في زمن العولمة، مجلة المعرفة للجميع، العدد 06، الرباط، منشورات رمسيس، ص79.

ولا غرو أن نجد من يعتبر السياسة مظلة تكون الإيديولوجيا أحد فروعها، فنجد في المغرب على سبيل المثال أحزاب يسارية، وأخرى محافظة وثالثة ليبرالية. وتتمثل السياسة أيضا في "أسلوب الحكم، وطريقة الإدارة السياسية، وكيفية صنع القرار السياسي وتنفيذه من خلال المؤسسات السياسية الحاكمة والمعارضة"[1].

المذكرات السياسية إذن جزء من هذا المفهوم الهلامي، نضع أحيانا نظارات طبية لإزالة الغموض والالتباس والقول إنها كل إنتاج أدبي صادر عن رجل السياسة، والقارئ ملزم بتوخي الحذر من خدعة العناوين المضللة التي تكتسي طابعا تجاريا محضا لا علاقة لكتابها بالحياة السياسية، إنها محاولات لتلميع صورة بعض الوجوه، تستدعي التمييز بين مذكرات سياسية محضة يمتلك الكاتب فيها ناصية الأدب، سنحت له الظروف أن يكون شاهدا ومشاركا ومؤرخا للحدث، ومذكرات شخصية تلون غلافها بما يوهم أنها تنتمي فعلا للأدب السياسي لا لأدب الاعتقال والسجون وهذا مجال آخر للبحث والدراسة.

ولكي تكتسي المذكرات السياسية فاعليتها، فالسياسي ملزم باختيار مَعلم واضح في حكيه السياسي، مطبوع بقيم الصدق والنزاهة والمسؤولية، وهي قيم مشتركة بين القارئ والكاتب المذكراتي.

ثانيا: أحداث المذكرات

تتعدد تصنيفات النقاد والمنظرين لبنية الحدث من حيث أنواعه ومظاهره ومعالمه في النصوص الحكائية، فنجد التصنيف الكلاسيكي يقسم الحدث إلى نوعين، أولهما حدث رئيس أساسي، بمثابة قطب الرحى ولا يمكن الاستغناء عنه أو حذفه؛ ثانيهما حدث ثانوي يسهم في نمو الأحداث المركزية وتطويرها، له أدوار متعددة تفتح مساحات للمحكيات الصغرى وإغراء القارئ وتشويقه، فالأولى أساسية لا يمكن تهميشها حتى لا تحدث فجوة في البناء الحكائي عكس الأحداث الثانوية المساعدة في بناء الأحداث الكبرى.

يستخدم كتاب المذكرات العديد من الطرق والأساليب في عرض أحداث محكياتهم، وهي كثيرة ومتنوعة نكتفي بعرض أبرزها:

2.1. الحدث الشخصي:

يلجأ الكاتب المذكراتي من خلال الترجمة الذاتية إلى سرد الأحداث الشخصية، مستخدما ضمير المتكلم أو تقديم الشخصيات الواردة في متنه من خلال وجهة نظره الخاصة، فيحللها تحليلا نفسيا متقمصا أحيانا شخصية البطل المذكراتي.

[1]- وادي، طه (1996)، الرواية السياسية، ط1، القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية، ص37.

تخرج الأحداث من دائرة أدب المذكرات إلى السيرة الذاتية، وتنطلق بعض كتب الأدب الشخصي من صرخة ولادة الكاتب، وتتوقف مع إلحاقه بجيش المتقاعدين مهنيا لا إبداعيا. في النموذج الأول لعينة الدراسة، لا تختلف شخصية عبد الكريم غلاب عن الذات الكاتبة لمذكراتها السياسة، "أناه" هادئة، لا تتغير إلا لماما، قليل الكلام بين الناس، ناريّ في الكتابة التي أشعل بعضها أزمات سياسية ودبلوماسية منها "**قضية جزيرة ليلي**" [1].

يستبعد "غلاب" في متنه المذكراتي كل ما له صلة مباشرة بحياته الشخصية، إلا ما دعت إليه ضرورة الكتابة المذكراتية لإلقاء الضوء مثلا في الورقات الأولى حول مرحلة الطفولة في مسقط رأسه، وملهمته مدينة فاس، وهي تحت نير الاستعمار؛ يوضح غلاب ذلك بقوله :"**حاولت ألا تكون هذه المذكرات ذاتية شخصية، وما له طابع شخصي في الفصول الأولى أجازه أنني لا أعتبره شخصيا، لظروف الأحداث والفترة المضطربة في حياة الشبيبة المغربية، بعد أن استقرت الحماية، أو ظنت ذلك، وبدأ التفكير في تقدم نظامها في ظروف غير مواتية، ثم هي فصول تسجل مرحلة التثقيف والتكوين الثقافي والوطني والنضالي الذاتي، يعود إليها العمل المتحرك الذي حاولت معظم فصول المذكرات أن ترسمه**"[2].

يظهر المقطع التقديمي وعياً سردياً حاداً لدى المؤلف يعيد من خلاله هندسة بنية الحدث؛ فهو يمارس انتقاء واعيا ينزع الطابع الفردي الخالص عن التجربة الذاتية ليجعلها مجازاً بنيوياً يعكس تحولات الشبيبة المغربية ومرحلة التكوين الوطني. ويتجلى هذا التوجيه عبر صوت السارد المشارك، مستعيناً بتبئير صفر يمتلك رؤية بانورامية استشرافية تحكم على أوهام المستعمر وسياق الحماية من الخلف، بدلاً من نقل الأحداث بانفعال لحظتها التاريخية الماضية.

من الناحية الزمنية، تؤسس العينة لبنية قائمة على الاسترجاع الذي يعود بالذاكرة إلى مرحلة التثقيف الأولى، لا كاستذكار فجائي، بل كقاعدة انطلاق موضوعية تبرر العمل المتحرك الذي سيهيمن على بقية فصول المذكرات؛ وهو ما يجعل بنية الحدث عند غلاب محكومة بهندسة غائية صارمة تنقل النص من مستواه كقصة مرجعية خام، إلى مستوى الخطاب المنظم والموجه إيديولوجياً وسردياً لخدمة قضية التوثيق الوطني والسياسي.

يشهد غلاب على نفسه قائلا: "**كنت خجولا بما أكتب، ليست لي ثقة في الكتابة**" [3]، وفي مناسبة ثانية في حضرة الملك الحسن الثاني: "**مرة أخرى يتجلى خجلي وعقدة لساني. أبتسم بغير**

---

[1]– يُنظر قصة الافتتاحية التي أثارت حكومتي إسبانيا والمغرب لدى غلاب، عبد الكريم (2010) في: عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسية وصحافية، ط1، الرباط، مطبعة المعارف، ص303–305.

[2]– المرجع نفسه، ص10.

[3]– غلاب، عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسة وصحافية، ص247.

إرادة وأهمهم بكلمات ربما لم أكن أجد لها مدلولا، ويتطوع إدريس البصري، وهو يمنح نفسه صفة الوصي على الحكومة القاصرة، وكل وزرائها ليعطي للوزراء المعنيين صورة عن أي شخصية هو !...

- **"لعله حشمان آسيدنا ولعل منصب الوزارة المنتدبة لم...؟ "**[1].

يتشكل الحدث عبر تقنية المسرحة والحوار الذي ينقل النص من التقرير السردي المباشر إلى المشهد السردي النشط" (Scène)؛ حيث يتم تبئير الحدث من الداخل بنقل الانفعالات العميقة للسارد في حضرة الملك (أبتسم بغير إرادة وأهمهم بكلمات)، مما يمنح الحدث واقعية نفسية تتناظر مع دخول شخصية إدريس البصري كعامل سردي معيق أو مخل بالتوازن، يحاول فرض وصايته السياسية عبر تأويل هذا الخجل.

إن استعادة تاريخ "الأنا" يمثل محددا كافيا لاستثمار الماضي الحياتي للفرد بين الطفولة والكهولة، وتشغيل وقائعها المروية تذكرا واستحضارا وبحسب حركية الكاتب وزاوية حكيه.

في مقابل صفة الخجل، ذات الكاتب منطلقة متحررة، ومحور أحداث متنه المذكراتي، منها قوله: "**خرجت من العقدة وآمنت بأني أصبحت على استعداد لأن أكون كاتبا**"[2]، مضيفا: **"لقد كنت فاعلا منفعلا في تكوين الرابطة التي أصبحت أحد أعمدة مكتب المغرب العربي**" [3].

يتعلق السرد الذاتي عند "غلاب" بالتاريخ السياسي والاجتماعي ومسيرته المهنية صحافيا ومديرا سياسيا لجريدة "العلم لسان حزب الاستقلال" لخصها غلاب قائلا: "**أخذت الصحافة من عمري خمسا** وخمسين **عاما (1949- 2004)**"[4]. ويشرع في كتابة ماضيه الشخصي باستدعاء الذاكرة وفق شروط تتصل بـ: الذاكرة / الماضي، والذاكرة/الذكريات، والذاكرة السياسة والصحافية.

ويبقى مجال الذات والواقع متعلقين بدورهما ضمن أحداث التاريخ والسياسة والمجتمع كتجربة وكقيمة رمزية أو فكرية، ومهنية، ومرتبطين بمواقف وتجاذبات وتحالفات واختلافات، وشد وجدب بين الأطياف السياسية خلال الخمسين سنة ناطقا باسم حزب الاستقلال عبر جناحه الإعلامي العربي، جريدة "**العلم**".

من هذا المنطلق يعترف غلاب قائلا: **"كنت معارضا صلبا في بعض الظروف كفترة حالة الاستثناء وما تلاها من فترات القمع. وتجلت المعارضة الصلبة فيما كنت أكتبه أو أوجه "العلم"،**

1- المرجع نفسه، ص462.

2- المرجع نفسه، ص247.

3- المرجع نفسه، ص183.

4- المرجع نفسه، ص263.

لكتابته في عهد حكومة الانفصال، لأني أصبت بخيبة مريرة، ما تزال مرارتها تخز ضميري وأنا أكتب هذه السطور" [1].

تتشكل البنية السردية في اعتراف الكاتب عبر تقنية التكثيف السردي السريع (Sommaire)؛ حيث يختزل السارد حقباً زمنية ممتدة كـ"فترة حالة الاستثناء" وما تلاها في عبارات مختصرة، محولاً تلك السياقات التاريخية إلى محفز نصي يفسر خلفيات إنتاج الخطاب الصحفي في جريدة "العلم". ويكتسي الحدث هنا صبغة "الحدث الوجداني" القائم على رصد التقابل بين رهانين داخل النص: رهان الذات الساعية للمجابهة عبر الكتابة، ورهان الواقع السياسي المحيط بها، وهو التقابل الذي أنتج دلالة الخيبة في المنظور الذاتي للسارد.

ومن زاوية المفارقات الزمنية، يخرق النص خطيته عبر رابط شعوري يجسد مفهوم الاسترجاع الذاتي المشروط بالأثر؛ فالأثر النفسي الناتج عن تلك المرحلة لا يستحضر كواقعة منهية، بل يتقاطع بنيوياً مع لحظة التدوين الراهنة (وأنا أكتب هذه السطور). هذا الامتداد يمنح الخطاب صبغة تفسيرية واصفة؛ حيث تصبح الكتابة المذكراتية فضاءً نصياً يلتقي فيه زمن الفعل التاريخي الماضي بزمن التعليق الراهن، لإعادة تنظيم الوقائع وفق الرؤية الحالية للسارد.

الوجه الآخر للحدث الشخصي المتمثل في اعتراف الكاتب قوله: "**كنت معارضا مرنا في كثير من عهود حكومات التقنوقراطيين مؤيدا أحيانا في بعض الحكومات التي شارك الحزب فيها، ولكني لم أكن قط لسان الحكومة في كثير من القضايا، يكون لي رأي خاص تعكسه افتتاحية "العلم"**[2].

الكتابة عن الذات لدى "غلاب" يمتزج فيها جوهر الفكر والثقافة، وقيم المعرفة والتكوين السياسي المحض غير المطبوع بـ"شخص الكاتب"، نستشفه من هذه السطور: "**أؤكد أني ما عارضت يوما عن كراهية أو رأي ذاتي، ولو تعلقت المعارضة بشخص يسيء إلى الوطن الهاجس الشخصي أضعه بعيدا عن مسؤوليتي الصحفية. ثم إني كنت أرفض المعارضة الشخصية وأمنع استعمال الكلمات النابية. كان مما يزعجني أن تصدر عن زميل بقصد أو عن غير قصد**"[3].

ونختم زاوية الحدث الشخصي من حياة غلاب قوله:" **ليس هذا التحليل – لشخصيتي– افتخارا، فما أنا بحاجة أن أفتخر، ولكنه اعتراف ليس غير، ومن الخيانة في كتابة مذكرات ألا**

[1]– غلاب، عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسة وصحافية، ص272.

[2]– المرجع نفسه، ص 272.

[3]– غلاب، عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسة وصحافية، ص272.

أعترف ببعض الحقائق، سواء كانت لصالحي أو ضدي". [1] هكذا تمثل الأحداث الشخصية اعترافات في مذكرات غلاب، وبوح لأبرز الأحداث التي استقرت في الذاكرة، وعصي على الإنسان حذفها أو تجاهلها في ما تبقى من إشراقات الأيام والأحداث والأحلام.

في مقابل النموذج الأول، وجد محمد الصديق معنينو في مذكراته "أيام زمان" فرصة ليجلس أمام كاميرا افتراضية بربطة عنق وبذلة رسمية أنيقة، وقصة شعر من سبعينيات القرن الماضي، يقدم سلسلة من تلفزيون الواقع عن حياته الشخصية والمهنية، يتذكر حتى صرخته الأولى في بيت جده محمد القادري في طنجة، إلى احتفاء الصحافة، والنقاد، والأساتذة، والدبلوماسيين، والعسكر، وغيرهم بمتن مذكراتي في ستة أجزاء من ألفي صفحة ونيف، لم يسبقه لهذا العدد سوى والده الحاج أحمد معنينو في الأجزاء الأحد عشر من "**ذكريات ومذكرات**".

في هذه الدراسة نورد بعض المقاطع السردية المقتطفة من قصة "**ولادة الكاتب**"،[2] وهي نواة الترجمة الذاتية.

يقترب الحكي الشخصي في مذكرات "أيام زمان" من محكي الحياة، مستحضرا وقائع من حياته الشخصية، فضلا عن مساهمة دور النشر في إخراج التاريخ الشخصي والسياسي لكتاب المذكرات إلى الوجود، بفضل تقنيات الطبع في حلل أنيقة وجذابة، تعكس فرادة المنجز المذكراتي.

ظلت أحداث "أيام زمان" الشخصية في محبرة الذاكرة ومسودات وخربشات (gribouillis) منسية بين رفوف البيت العتيق، وتحولت أحداثها الشخصية ضمن ما عرف في الأدب الفرنسي بكتب المصلحة (livres de raison) التي كانت تسجل فيها الأسر الفرنسية المثقفة بعض الوقائع اليومية، حيث "كانت مهمتها تكمن في نقل الثقافة العائلية من جيل إلى آخر، والتأريخ لأهم الأحداث التي عاشتها الأسر. فهي مثار أوصاف استثنائية جدا تهم طريقة عيش الناس في عصر ما، وتمكن من معرفة حياة الأسرة، ونقل الملكية والحياة المشتركة"[3]، ومما جاء في أيام زمان:"**بعد مرور سنة على زواجه، رزق «الحاج أحمد، مولوداً ذكراً سماه محمد الصديق»، احتراما لوصية من والده حين طلب منه إطلاق اسم محمد الصديق على المولود إذا كان ذكراً، واسم لطيفة، إذا كانت المولودة أنثى ...ازداد «محمد الصديق، في المستشفى الانجليزي بطنجة ليلة الأحد 8 مارس 1944، الموافق لعاشر ربيع الأول 1363... وصادفت هذه الليلة، بداية الاحتفال بعيد**

---

[1]– المرجع نفسه، ص273.

[2]– معنينو، الصديق محمد، (2019)، أيام زمان: موكب السلطان، الجزء الأول، ط3، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ص24.

[3]– Hess, Remi, (1998), *La pratique du journal l'enquêté au quotidien*, Paris, Anthropos, p 9.

ميلاد الرسول الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لذلك رأى «الحاج أحمده في هذا الازدياد فأل خير وهو إذاك في السنة السابعة لمنفاه" [1].

يؤسس الحدث الشخصي في "أيام زمان" لوضعية الانطلاق(Situation initiale) والتي تصاغ نصياً عبر الاستخدام التداولي لضمير الغائب، حيث يقف السارد في موقع المؤرخ لذاته كشخصية مروي عنها من الخارج. وينبني تشييد هذا الحدث على تقاطع تزامني بين ثلاثة أبعاد سياقية: بعد أسري يمثله تنفيذ وصية الجد في التسمية، وبعد مكاني مرجعي يتمثل في المستشفى الإنجليزي بطنجة، وبعد ديني رمزي يتجلى في ليلة المولد النبوي. هذا التقاطع يخرج الواقعة البيولوجية من إطارها الفردي المحدود، ليمنحها أبعادا دلالية تربط بين المنظور العائلي والمنظور التاريخي العام.

ومن زاوية السرعة والزمن السردي، يتأرجح النص بين تقنيتين؛ تقنية الخلاصة التي اختزلت الزمن السابق للولادة في جملة افتتاحية واجزة، وتقنية الوقفة السردية (Pause) المشروطة بالتدقيق التوثيقي؛ حيث يتباطأ تدفق السرد لرصد إحداثيات زمنية دقيقة ومتقاطعة بين التقويمين الميلادي والهجري (ليلة الأحد 8 مارس 1944، الموافق لعاشر ربيع الأول 1363). ويشتغل التبئير هنا عبر زاوية رؤية مزدوجة تتأرجح بين رصد الأثر التأويلي المعاصر للواقعة عند الأب (رأى الحاج أحمد في هذا الازدياد فأل خير)، وبين المنظور التوثيقي المعرفي الخلفي للسارد الذي يربط الولادة بوضعية الأب السياسية (وهو إذاك في السنة السابعة لمنفاه).

يسود الاعتقاد أن الكتابة عن الذات في متناول الناس جميعهم على اختلاف مستوياتهم الثقافية، وذلك للتعبير عن تجاربهم المثيرة. اقترح فليب لوجون Philppe Lejeune إدراجها ضمن محكي الحياة (أو الوثيقة المعاشة Document vécu)[2]، هذا ما عبر عنه معنينو بشكل تلقائي: "**عندما كنت أقص على عائلتي وجملة من أصدقائي، حكايات عشتها أثناء ممارستي لمهنتي كصحافي بالتلفزة المغربية، كان العديد منهم يشجعني بل يحثني على تدوين ما بقي عالقا في ذاكرتي، من تلك الأيام الخوالي... وتدريجيا شعرت بأن رغبات جلسائي أصبحت تطاردني وتدفعني إلى الكتابة...**"[3]، مضيفا "**حضرت عشرات المؤتمرات الدولية والإسلامية والعربية والجهوية، زرت عددا كبيرا من العواصم لتغطية أحداث وطنية ودولية، تنقلت في ربوع المملكة**

[1]– معنينو، الصديق محمد، أيام زمان: موكب السلطان، الجزء الأول، ص24.

[2]- Le jeune, Philippe, (1980), «Le document vécu » in Je est un autre: l'autobiographie de la littérature aux médias, Paris, Seuil, pp 215-216.

[3]– معنينو، الصديق محمد، أيام زمان: موكب السلطان، الجزء الأول، ص17.

من طنجة إلى الكويرة، وشاركت في المسيرة الخضراء وغطيت وقائعها. زرت الصحراء أيام معاركها العسكرية القوية، وتابعت بناء الجدران"[1].

يتشكل بوح الكاتب عبر آلية التحفيز الخارجي، حيث انتقل فعل التدوين من رغبة ذاتية معزولة إلى استجابة لطلب جماعي تمثله "العائلة والأصدقاء والجلساء". الملاحظ ممارسة ضغط تداولي (يشجعني، يحثني، تطاردني) لدفع السارد (الفاعل الرئيسي) نحو تفعيل كتابة الذاكرة. وبذلك تحول الحدث المذكراتي من مجرد استرجاع ماضوي إلى ممارسة تعويضية تهدف إلى تثبيت الشفهي العابر (ما بقي عالقاً) وتحويله إلى خطاب مكتوب ودائم، مما يمنح المذكرات مشروعية تواصلية تشارك فيها الجماعة المحيطة بالكاتب.

الفاحص للشاهد الثاني، يستشعر بوضوح تغيير الإيقاع عبر آلية التواتر السردي (Fréquence) التي تختزل من خلالها الأحداث؛ فالجمل الفعلية الممتدة (حضرت، زرت، تنقلت، شاركت) لا تنقل حدثاً فريداً يقع لمرة واحدة، بل تختصر مسارا مهنيا وتاريخيا حافلا تم فيه اختبار أحداث مرجعية كبرى كـ"المسيرة الخضراء والمعارك العسكرية". ويشتغل التبئير هنا بمنظور داخلي ناتج عن الشاهد العيان (Témoin oculaire)؛ حيث تتطابق عين الصحفي مع عين السارد لتقديم شهادة جغرافية وتاريخية تمتد من طنجة إلى الكويرة، مما ينقل النص من طابعه الشخصي الضيق إلى حدث توثيقي عام يعكس جغرافيا الوطن وتحولاته السياسية والأمنية.

ولا يخفي معنينو دهشته المهورة بالحبور لتفاعل القراء مع منجزه: "**لم أكن أتصور هذا النجاح الكبير لمذكراتي، التي أحكي فيها ما عشته من أحداث طيلة أربعين سنة من حياتي المهنية...**"[2].

يكشف هذا الشاهد عن تشكل حدث ميتا–سرد(Événement méta–narratif) ؛ حيث لا يتجه السارد بالتحليل نحو الأحداث التاريخية الماضية، بل نحو أثر النص في الواقع بعد صدوره وتلقيه. وتتأسس بنية هذا الحدث على المفارقة الإدراكية بين حدين: حد التوقع الذهني السابق للسارد (لم أكن أتصور)، وحد الواقع الفعلي الذي أفرزه التلقي (هذا النجاح الكبير). ويتحول فعل الكتابة المذكراتية هنا من مجرد استرجاع توثيقي إلى حدث قائم بذاته، يعيد صياغة موقع السارد ويمنحه سلطة اعتبارية جديدة ناتجة عن التجاوب الجماهيري مع متنه المكتوب.

[1]– المرجع نفسه، ج1، ص 19.

[2]– المرجع نفسه، ج1، ص 7.

2.2. الحدث التاريخي

أولى الأحداث التاريخية في نموذجي الدراسة وفاة مولاي يوسف والتكتم على خبر موت السلطان، يليها شرارة الظهير البربري في 16 ماي 1930 [1]، وميلاد الحركة الوطنية [2] وتداعيات الحرب العالمية الثانية على المغرب ومصر [3]، وتقديم عريضة المطالبة بالاستقلال صباح يوم الثلاثاء 11 يناير 1944.

ومن أبرز الأحداث التاريخية التي ميزت مغرب ما قبل الاستقلال وشكلت منعطفا في المشهد السياسي المغربي زيارة الملك محمد الخامس إلى مدينة طنجة. استحق هذا الحدث في مذكرات عبد الكريم غلاب إيلاءه مساحة مهمة في سداسيته، وقدم الكاتب تحليلا مفصلا للسياق التاريخي للزيارة الملكية، وانعكاساتها على الواقع. نستمع لصوت السارد: "**بدأت الرحلة يوم 7 أبريل 1947. والمنطقة تحكم بنظام خاص فوضته فرنسا لإسبانيا في معاهدة 30 مارس 1912. ولها إدارة خاصة وجيش احتلال خاص...وكانت هذه الخطوة- تحدث لأول مرة في تاريخ مغرب الحماية – مؤكدة وحدة المغرب**"[4].

إننا أمام حدث تحولي (انطلاق الرحلة) يتجاوز وظيفته الجغرافية ليصبح فعلاً سياسياً حجاجياً يخرق السائد الاستعماري (تحدث لأول مرة). وتتحرك بنية السرد هنا عبر ثنائية ضدية متوترة؛ طرفها الأول واقع التجزئة الجيوسياسية المفروضة قسراً، ويجسده الارتداد الزمني التفسيري بالعودة لمعاهدة 1912 والتواتر اللفظي التأكيدي لصفة الخصوصية (إدارة، جيش) بين قطبي الحماية (فرنسا وإسبانيا)، وطرفها الثاني المتمثل في الوعي بالوحدة الوطنية كحقيقة مطلقة. وبذلك، يتحول الحدث السردي من مجرد توثيق لرحلة ذاتية إلى وثيقة إثباتية تدحض شرعية التفكيك الاستعماري وتؤكد عمق الوحدة التاريخية للمغرب.

تقربنا مذكرات غلاب من حدث مأساوي قبيل زيارة الملك محمد الخامس لمدينة طنجة، حيث شهدت (ليلة الرحلة) في 6 أبريل 1947 إراقة دماء المغاربة في: "**مجزرة خطيرة كلفت بها فرقة من الجنود الإفريقيين المجندين في جيش الاحتلال الفرنسي. فقد قامت هذه الفرقة بهجوم على أحياء السكان المغاربة، أمعنوا في عموم المواطنين- رجالا ونساء- تقتيلا وتمزيقا وتشويها لجثث القتلى، استعملوا السلاح الأبيض، قتلوا المئات ومزقوا أجسادهم شر تمزيق. كان الهدف**

---

[1]- غلاب، عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسية، ص ص 32-41.

[2]- المرجع نفسه، ص38.

[3]- المرجع نفسه، ص119-128.

[4]- المرجع نفسه، ص 156.

من المجزرة هو عرقلة رحلة طنجة. ولكن السلطان الذي تأثر كثيرا للمأساة وحمل سلطات الاحتلال المسؤولية، لم يتنازل عن الرحلة بسبب الحادث الأليم"[1].

يشكل الشاهد بؤرة التنازع القصوى في السرد المذكراتي لغلاب، المبني على تقنية المفاجأة السردية (ليلة الرحلة/6 أبريل) من خلال إقحام حدث دموي طارئ (المجزرة) جرى هندسته ليعمل كعامل معطِّل يستهدف إحباط الحدث المركزي وهو زيارة الملك محمد الخامس لطنجة. ويتحرك الخطاب السردي هنا عبر مستويين؛ الأول مستوى الوصف التوثيقي الأليم الذي يفضح همجية الاحتلال وأدواته (تقتيلا وتمزيقا وتشويهاً)، والثاني مستوى الحسم السيادي والسردي؛ حيث يظهر السلطان كذات فاعلة ومقاوِمة ترفض الخضوع لرهان التعطيل الاستعماري. وبذلك، يتجاوز الحدث وظيفته التراجيدية المأساوية ليتحول إلى محفز يعمّق من القيمة النضالية للرحلة، ويجعل من الإصرار عليها ردا سياسياً حاسما يثبت بطلان مناورات الاحتلال.

كان الحدث التاريخي لوصول الملك مدينة طنجة وفق رواية غلاب: "**نقطة تحول كبير في تطبيق نظام الحماية، قادت هذا النظام إلى عزل الملك في 20 غشت 1953. ست سنوات عجاف عرفها المغرب في نضاله التحرري ستطبع ملامح الأحداث التي ستشير إليها هذه المذكرات** " [2].

تكمن الوظيفة التوثيقية لهذا الربط في تفسير التحول الجذري لنظام الحماية؛ حيث يظهر النص كيف قاد إصرار الملك على الزيارة إلى اتخاذ الاحتلال قرار عزله لاحقا. هذا الربط المباشر يمنح التفاصيل السردية القادمة في المذكرات مسوغاتها التاريخية وربطها السببي، وينقل النص من تسجيل واقعة معزولة إلى تعليل مرحلة تاريخية كاملة تحولت فيها العلاقة مع الحماية إلى المواجهة المباشرة.

والملاحظ أيضا كيفية تقديم الكاتب تحليلا تاريخيا وافيا لأحداث فك الأسر عن عبد الكريم الخطابي يوم السبت 31 مايو 1947من جزيرة لارينون La Reunion الفرنسية [3] بعد نفي دام إحدى وعشرين سنة إلى مصر حيث لاقى ترحيبا واحتفاء رسميا وجماهيريا في أرض الكنانة.

حدثان تاريخيان آخران في النموذج الثاني "أيام زمان": نفي محمد الخامس في 20 غشت 1953 وثورة الشعب المغربي؛ وردا في سياق حكي سير ذاتي عن اعتقال والد الكاتب الحاج أحمد

---

[1]–غلاب، عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسية، ص 158.

[2]– المرجع نفسه، ص 159.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 187–201.

معنينو عقب انتفاضة شعبية منددة بـ"**اختطاف محمد الخامس**" [1]، مشيرا إلى حدث "**ظهور السلطان في القمر**" [2]، رغم أن الكاتب "**لا يذكر التاريخ الدقيق لتلك الليلة ولكنه يتذكر وقائعها بدقة متناهية**" [3].

أحداث تاريخية غزيرة في "أيام زمان" من بينها الاستشهاد بمظاهرات عامة عرفها المغرب من 22 إلى 27 شتنبر 1955 مطالبة بعودة الملك، والتي عبدت الطريق لعودة محمد الخامس [4]، واحتفالات شعبية برجوع الملك إلى أرض الوطن في 16 نونبر 1955، يقول معنينو:" **قريبا من قنطرة "سيدي بوسدرة" الرابطة بين سلا والرباط وهي القنطرة التي سيعبرها الموكب الملكي القادم من مطار سلا والمتجه إلى القصر الملكي...لم يطل الانتظار، وها هو محمد الخامس على سيارة مكشوفة يلوح بيده اليمنى وسط حماس كبير**" [5]. معلنا استقلال المغرب وانتهاء سلطة الاحتلال وبزوغ فجر الحرية.

إن ما يثير الاستغراب في نموذجي الدراسة أن حدثا تاريخيا مهما، مثل إعلان الاستقلال وما صاحبه من أحداث جزئية لها من الدلالات التاريخية والسياسية ما يستحق الدراسة، لم يتم التعمق فيه، وإرواء عطش الباحث قبل القارئ لما خفي في كتب التاريخ الرسمي والأكاديمي لاستقلال المغرب.

حدث تاريخي، موشوم في الحياة السياسية المغربية بمداد الحزن والصدمة: موت محمد الخامس، في26 فبراير 1961. في مذكرات عبد الكريم غلاب نبرة الألم العميق، عبّر عنها بذكر خِصال ومكانة فقيد الأمة في قلوب المغاربة، لما كان يتصف به من صفات الشجاعة والنضال والمقاومة والزهد في الملك:"**لم تكن لنا ملكا كما عرفت الدنيا الملوك، ولم تكن لنا حاكما كما عرفت الدنيا الحكام** "[6].

أوردت "أيام زمان" الحدث التاريخي الصادم لرحيل ملك الخامس ضمن المحور الثامن والأربعين من القسم الأول المعنون في الطفولة والشباب:"**كان يوم الأحد 26 يبراير 1961 ، فجأة راجت أخبار مفادها أن محمد الخامس خضع لعملية جراحية، وأن وضعيته حرجة... مع مرور**

1- معنينو، أيام زمان، موكب السلطان، الجزء الأول، ص ص 50-55.
2- المرجع نفسه، ج1، ص65.
3- المرجع نفسه، ج1، ص65.
4- المرجع نفسه، ص ص86-88.
5- المرجع نفسه، ج1، ص90.
6- غلاب، عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسية وصحافية، ص 358.

الدقائق تأكدت الأخبار واستمع الناس على أمواج الإذاعة إلى خطاب ولي العهد مولاي الحسن وهو يعلن وفاة والده"[1].

تتشكل بنية حدث وفاة محمد الخامس من روايات متعددة في "أيام زمان"، تملك جرأة كبيرة في تقديم بعض التفاصيل، التي لا يعتبرها التاريخ الرسمي مصدرا معتمدا، في حين تُلقي المذكرات السياسية الأضواء عليها، تجعلها أقرب إلى اليقين منه إلى الشك.

ومعلوم أن الحدث التاريخي المعتمد لا يبنى على ما يروجه الشارع من أقوال، فلا تاريخ بدون وثيقة، إلا أن ما قد يسقط المذكرات في فخ الهواية في كتابة التاريخ نقل الكاتب المذكراتي "أخبار السوق"[2] من قبيل قوله:" **ردد الناس بأن الطبيب السويسري مسؤول عن موت محمد الخامس، وقال** آخرون **بأن طبيبه الخاص عندما قبل إجراء العملية الجراحية في مصحة لا تتوفر على معدات التدخل السريع هو المسؤول عن الوفاة، وأشاع فريق ثالث بأن الأمور كانت مهيّأة حتى لا يستيقظ الملك من"البنج" وذهب فريق رابع للحديث عن قرارات متسرعة اتخذها الملك تحت وطأة ظروفه الصحية والسياسية مما عجّل بوفاته"** [3].

لا يقدم السرد هنا واقعة وفاة الملك محمد الخامس كحدث مادي ناجز وخطي، بل يعيد بناءها كبؤرة تتجاذبها تأويلات متصارعة، فيتحول الحدث من منجز واقعي إلى مادة حكائية مفتوحة على الاحتمال والتشكيك. إن بنية الحدث في المقطع السردي ينمو عبر استراتيجية التشعيب الدلالي للمرجع التاريخي الواحدة؛ ويقوم البناء الفاعلي من خلال تقنية تعدد الأصوات المجهولة وتوزيع المروي على بؤر بصرية وقولية مبهمة ("ردد الناس"، "قال آخرون"، "أشاع فريق"، "ذهب فريق"). هذا التقطيع التعليلي يجرّد الحدث من طابعه الحتمي، ويحوله إلى فرضيات تتراوح بين الإدانة المباشرة للملف الطبي، وبناء سيناريو المؤامرة الجنائية، والتحليل النفسي–السياسي لقرارات الذات الفاعلة.

ولنا أن نلاحظ التدرج في البناء السردي كيف تم تصاعدياً من خطأ مهني فردي (الطبيب السويسري)، إلى تقصير لوجستي مؤسساتي (تجهيزات المصحة)، ثم إلى الفعل القصدي التآمري (التخدير)، وصولاً إلى التقاطع التراجيدي بين الظرف الصحي والقرار السياسي. هذا السلم السردي يمنح النص دينامية قائمة على تعليق الحقيقة وإرجاء الحسم التاريخي.

---

1 – معنينو، أيام زمان، موكب السلطان، الجزء الأول، ص147.

2– إشارة إلى أحاديث المقاهي والمجالس وما يُرَوّج فيها من أخبار تدخل في باب[الإشاعة].

3– معنينو، أيام زمان، موكب السلطان، الجزء الأول، ص149.

يتحرك الحدث أيضا عبر معجم التشكيك والغموض ("أشاع"، "ردد"، "ذهب للحديث")، وهي أفعال قولية تزيح السرد من التقرير خانة إلى خانة التوصيل الشفهي والإشاعة. وتُختتم هذه السلسلة السردية ببؤرة تكثيفية تُسرّع زمن الفعل ("عجّل بوفاته")، لتختزل البنية ككل في حتمية تراجيدية أجمعت المقاربات على نتيجتها واختلفت في هندسة أسبابها.

حدثان تاريخيان خطيران آخران هددا الملكية في المغرب إثر محاولتين انقلابيتين فاشلتين ضد حكم الملك الحسن الثاني؛ الأولى مجزرة الصخيرات في 10 يوليوز 1971 والثانية حادث الطائرة في 16 غشت 1972. خصّتهما معظم كتب المذكرات السياسية التي همّت هذه المرحلة من حكم الملك الحسن الثاني بـ"التأريخ" من زاويا متعددة ومختلفة باختلاف المشاهدات والمرويات.

في "أيام زمان" حكي مفصل للمحاولة الانقلابية الأولى، ليس في مسرح الأحداث، بل في محيط وداخل مبنى الإذاعة والتلفزيون المغربي. قدّم محمد الصديق معنينو بعض مشاهداته، في إشارة واضحة أنه ذاق من جحيم الحدث. مما جاء ذلك قوله:" **يوم 10 يوليوز 1971 بعد ظهر السبت حوالي الساعة الرابعة، توجهت إلى الرباط، كانت الشوارع فارغة...وعندما حاولت اللف إلى اليسار، في اتجاه الإذاعة...أوقفني جندي يحمل رشاشا...اقترب مني محتاطاً، وضع رشاشته على كتفي...كان صوته خشناً ونظراته فاحصة...وضع إصبعه في فمه وأطلق صفارة انتبه إليها جندي آخر...قال له..."ها هو ..."! ثم أمرني، بأن أتوجه صوب الإذاعة... ثم لوح برشاشة كان فخوراً بها...**"[1].

نلمس في هذا الشاهد تقاطع الزمن الشخصي للذات الراوية مع الزمن التاريخي العاصف (محاولة انقلاب 10 يوليوز 1971). بنى الحدث هنا وفق خطية زمنية ومكانية دقيقة اتخذت من المكان (محيط الإذاعة) شريطاً لتكثيف التوتر والتحول من الحالة العادية إلى حالة الاستثناء.

وينتظم البناء الدرامي للحدث عبر مبدأ المفاجأة وتغيير المجرى (التعقيد)؛ إذ يبدأ المشهد بهدوء موهم عبر الفضاء الشارع الساكن ("كانت الشوارع فارغة")، قبل أن ينكسر هذا الهدوء فجأة بظهور الفاعل المعرقل (الجندي)، مما يقطع المسار الاعتيادي للحركة ويربك التوقع السردي. يتحول الفعل الحركي للراوي من القصدية الذاتية ("توجهت"، "حاولت اللف") إلى الخضوع القسري لتوجيهات السلم العسكري القائم على أفعال الأمر والسيطرة.

اعتمد الكاتب تقنية كتابة السيناريو عبر تفاصيل سيميوطيقية مكثفة ("وضع رشاشته على كتفي"، "صوته خشناً"، "نظراته فاحصة"). إن حصر الحركة في مساحة جسدية ضيقة، واستخدام

[1]– معنينو، أيام زمان، موكب السلطان، الجزء الأول، ص259.

لغة الإشارة والصوت (الصفارة، وضع الاصبع في الفم) يُكسب الحدث شحنة درامية تصاعدية، تحول الفضاء من مجرد إطار جغرافي إلى مسرح للمواجهة والمباغتة.

يتحقق الحسم السردي في المقطع عبر البؤرة القولية المقتضبة ("ها هو...")، وهي عبارة محملة بالإيحاء السردي تنقل الراوي فوراً من موقع العابر العادي إلى موقع "المطلوب" أو "المستهدف"، مما يعيد تعريف الهوية السردية للذات داخل المشهد. تُختتم هذه النواة السردية بـ الملمح النفسي للبؤرة الفاعلة ("لوح برشاشة كان فخوراً بها")، وهو مفصل سردي يختزل نشوة السيطرة والانقلاب السلطوي، ويضع الحدث في ذروة الترقب والانتظار السردي لما سيسفر عنه المآل داخل مبنى الإذاعة.

المحاولة الثانية المعروفة بحادث الطائرة، حين كان الملك عائدا يوم 16 غشت 1972 من رحلة إلى فرنسا عبر إسبانيا. كان "**هدف- المتآمرين- إسقاط الطائرة في البحر فوق المياه الإقليمية، ولا يتأتى العثور لها على أي أثر ، ولن يكون في مقدور أي كان اكتشاف آثار الرصاص الذي أطلق عليها**[1].

لا يسرد حدث الطائرة واقعة متحققة في الزمن الماضي الصريح، بل يحلل "استراتيجية الفعل" كما رسمها الفاعلون المتآمرون. يتحول الحدث هنا من "فعل مادي واقع" إلى "نية إجرامية مقصودة" تسعى إلى هندسة العدم والمحو، مستهدفة تحييد الأثر ومنع التوثيق التاريخي.

ينبني التوتر الدرامي للنواة السردية على مبدأ المحو الفضائي والتغييب اللوجستي؛ حيث تم اختيار الفضاء البحري "المياه الإقليمية"، باعتباره فضاء ابتلاعياً نافياً للأثر الطبيعي، وظيفته السردية تتمثل في إعدام أدلة الجريمة إعداماً مطلقاً "لا يتأتى العثور لها على أي أثر". إن اقتران إسقاط الطائرة" في البحر يعكس رغبة الفاعل السردي في تحويل الحدث من جريمة مكتملة الأركان إلى اختفاء غامض يندرج ضمن الحوادث القسرية المجهولة الفاعل.

تكمن البلاغة السردية هنا في صراع الإرادات؛ إرادة التدمير الحريصة على التكتيم والتغليف، وإرادة الكشف السردي التي تقوم بتعرية المخطط وإعادة بناء الكواليس الذهنية واللوجستية للحدث قبل أو أثناء وقوعه، مما يمنح المقطع وظيفة إفشال الغموض وإضاءة الهامش المستور في البنية الحكائية.

نفس الحدثين التاريخيين يحضران في النموذج الثاني للدراسة حيث يُقر عبد الكريم غلاب في متنه المذكراتي أنه لم يكن شاهدا عنهما بل اعتمد في حكيه على مصادر متعددة، كان بعضُها شاهدا في ساحة الانقلاب، وبعضها الآخر مما كُتب ونشر في وسائل الإعلام الوطنية حينها.

[1]- الحسن الثاني (1993)، ذاكرة ملك، ط2، جدة/الرياض، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ص 99.

يمنح الحدث التاريخي شهية الكاتب للحكي، بموازاة مع الحدث الشخصي بنوعيه، لأن كاتب المذكرات، مدعو أن يكون نزيها في روايته للأحداث، عادلا في تصوير الأدوار التي لعبها كل من كان له دور في صناعة الحدث أو صياغته. [1]

الخاتمة:

الاستنتاجات:

تختلف بنية أحداث المذكرات عن غيرها الحاضرة في فنون الأدب والقول؛ هي بنية مستقلة تُشيد مساحات مفتوحة من خلال تكسير الحدث الرئيس إلى أفعال وأقوال متشظية في ثنايا المتن الحكائي؛ والحرية في تحويل حدث رئيس محوري إلى حدث ثانوي أو عابر وفق ما يتوفر عليه الكاتب المذكراتي من أخبار وروايات وحكايات ومعلومات تزخر بها ذاكرته دون غيره، وحسب التقدير الذاتي الشخصي لأهمية الحدث وقيمته وفرادته.

رغم تنوع الأحداث في المذكرات بين الشخصي والتاريخي والاجتماعي، والسياسي... إلا أنها في مجملها ذات بناء بسيط، تتطور وتنمو بالتدرج وبطريقة تلقائية، الملاحظة الأساسية أن الكاتب المذكراتي ناقل للأحداث كما عاشها، والتقطها، وقرأها... لأنها مذكرات.

ينهل السرد المذكراتي من رواية أحداث تاريخية مزامنة لحياة الكاتب، كان فاعلا فيها وشاهدا عليها، وأحيانا بعيدة في التاريخ. وفي قراءة تحليلية لها نجد أن بعضها ركز على حياة الكاتب، والآخر صب اهتمامًا أكبر على أحداث التاريخ.

إن المذكرات مجال رحب للاحتفاء بالذات الكاتبة ومحيطها الاجتماعي والسياسي والحيوي، هي فسحة البوح والاعتراف والشهادة والتذكر ومقاومة النسيان، لا يشترط على الكاتب صيغا محددة في التأليف وانتقاء الأحداث وترتيبها، فالحدث قد يبدو عابرا غير ذي أهمية لدى الكثير من المهتمين بالكتابة، نظرا لواقعيته، إلا أن كاتب المذكرات يعتبره مناسبة لتخليد قيمة الذات الفردية مع الجماعة، بحكم وجود قواسم مشتركة فيما بينهما، فلا وجود لحدود فاصلة بين حياة المذكراتي وحيوات الآخرين إلا ما يريد الكاتب نفسه البوح به أو الإحجام عن ذكره.

ونستخلص أيضا كيف تتعدد بواعث تأليف المذكرات، بحيث إن كل أسباب كتابة هذا اللون من الأدب هي دوافع وقوى محفزة تغذيها الأحلام وتجارب الحياة وتقلباتها بين الأفراح والأحزان، تنهل أفكارها وأحداثها مما بقي عالقا في ذاكرة الكاتب، متوسلا في إخراجها من أطياف الاسترجاع والتذكر ومقاومة النسيان بمختلف أشكال الحكي الأدبي.

---

[1]– غلاب، عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسية وصحافية، ص 5.

التوصيات:

تأسيسا على أبرز محطات الدراسة المقارنة بين مذكرات عبد الكريم غلاب ومحمد الصديق معنينو في مكون بنية الحدث، ومن خلال التحليل والمناقشة والاستنتاج، نقدم مجموعة من التوصيات، هي بالمناسبة دعوة للنقاش والبحث في القيمة الأدبية والإبداعية والتاريخية لجنس المذكرات، لعل أبرزها:

- ضرورة تعمق المذكرات السياسية في تدوين ودراسة المحطات التاريخية الكبرى في تاريخ المغرب لتوفير مادة موازية تغني التاريخ الرسمي والأكاديمي.
- تدعو الدراسة إلى ضرورة توخي الحذر والتمييز بين المذكرات السياسية الحقيقية التي يمتلك أصحابها ناصية الأدب وكانوا شهوداً على صناعة الحدث، وبين المذكرات ذات الطابع التجاري أو الدعائي الهادف لتلميع بعض الوجوه.
- توسيع دائرة توظيف المنهج البنيوي السردي في دراسات السير الذاتية والمذكرات بدل التعامل معها كوثائق تاريخية فقط.
- تأكيد الالتزام بقيم الصدق والموضوعية وتجنب تضخيم الأنا، لذا توصي الدراسة الكتّاب والسياسيين الذين يخوضون تجربة المذكرات بتجنب جعلها مجرد فضاء لإعلاء "الأنا "غير المؤسس على حقائق ثابتة وموضوعية، والالتزام بقيم الصدق التاريخي والفني كأرضية متعاقد عليها مع القارئ.

قائمة المصادر والمراجع:

- أشهبون، عبد المالك. (2007). من خطاب السيرة المحدد إلى عوالم التخييل الذاتي الرحبة. ط1، فاس: مطبعة أنفو-برانت.
- أفاية، نور الدين. (1999). البقاء للإصلاح، عن العمل السياسي في زمن العولمة. مجلة المعرفة للجميع، العدد 06، الرباط: منشورات رمسيس.
- البوعمراني، محمد، والصالح، محمد. (2015). الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي. ط1، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- جبور، عبد النور. (1979). المعجم الأدبي. ط1، بيروت: دار العلم للملايين.
- الحسن الثاني. (1993). ذاكرة ملك. ط2، جدة/الرياض: الشركة السعودية للأبحاث والنشر.
- سبيلا، محمد. (2010). للسياسة.. بالسياسة. ط2، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.

- الصديقي، محمد. (2021). بلاغة الخطاب السياسي: الاستعارة وبناء المعنى. ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- الطاهري، عبد العزيز. (2016). الذاكرة والتاريخ: المغرب خلال الفترة الاستعمارية (1912–1956). ط1، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- غلاب، عبد الكريم. (2010). عبد الكريم غلاب في مذكرات سياسية وصحافية. ط1، الرباط: مطبعة المعارف.
- فتحي، إبراهيم. (1999). معجم المصطلحات الأدبية. ط1، بيروت: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين.
- فضل، صلاح. (1998). نظرية البنائية في النقد الأدبي. ط1، القاهرة: دار الشروق.
- لحمداني، حميد. (1998). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. ط2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- ماي، جورج. (2017). السيرة الذاتية. ترجمة: محمد القاضي وعبد الله صولة. ط1، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- مسكين، حسن. (2016). الحياة السياسية في المغرب المعاصر: الحكومة والمعارضة نموذجًا، دراسة في الخطاب والممارسة. ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- معنينو، محمد الصديق. (2019). أيام زمان: موكب السلطان. الجزء الأول، ط3، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- وادي، طه. (1996). الرواية السياسية. ط1، القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية.
- Hess, Remi, (1998), La pratique du journal l’enquêté au quotidien, Paris, Anthropos, p 9.
- Le jeune, Philippe, (1980), «Le document vécu » in Je est un autre: l’autobiographie de la littérature aux médias, Paris, Seuil, pp 215-216.